كافيتريا الأمل

بعد تردد، طلب مني اللقاء خارج الوزارة، بعيدًا عن العيون المتلصصة والهمس والقيل والقال!

ولأنه زميل محترم، وعلى قدر من الأخلاق، لم أتردد في تلبية طلبه..

تربطني به صداقة قديمة، فهو ليس زميلًا فحسب، أشعر بالارتياح والرضا في حضرته، وقد صرّح لي أكثر من مرة بأنه يُكِن لي نفس الشعور، بل أكثر..

وتم اللقاء في (كافيتريا الأمل) بالقرب من الوزارة، وكانت الدعوة على الغذاء، وغادرت الوزارة قبل موعد الانصراف بحوالي ربع ساعة، ثم لحق هو بي بعدها.

وجاء النادل بالأصناف التي طلبناها للغذاء، وكان غذاءً شهيًا، ولأول مرة في حياتي أتغدى خارج المنزل!

وأثناء الغذاء بدأ يحدثني بكل صراحة وجدية عن نفسه، تكلم في كل شيء ولم يلمح عن الارتباط من قريب أو من بعيد..

تكلم عن أسرته وعن آماله وعن رغبته في العمل بإحدى الدول العربية، وعن أنه ميسور الحال، وهو الابن الوحيد لأبويه، وأن والده يمتلك معرضًا لبيع السيارات، وبإمكانه تأثيث شقة بجميع الكماليات!

عندما أبديت وجهة نظري بعدم ضرورة السفر مادامت مادياته متيسرة، أجاب بأنه يفضل الاعتماد على نفسه وتحقيق كل آماله بعرق جبينه..

فسألته بصراحة أكثر:

- ولكن ثروة والدك كلها ليك، بعد عمر طويل، ربنا يديله الصحة.

فأجاب متسائلاً:

- وماله، زيادة الخير خيرين.

ولكني قلت بنبرة هجومية:

- أنا بختلف معاك، أعتقد إن وجودك جنب والدك وهو في السن ده بالدنيا!، أحسن ما تسافر بره وتتبهدل ويمكن متلاقيش شغل يتناسب مع خبراتك ومؤهلاتك، وبعدين السفر مشقة وده مجرد رأى أرجو مايضايقكش!

- أبدًا أبدًا، أنا سعيد جدًا إنك بتشاركيني الرأي عن مصيري ومستقبلي، وبعدين إنتي فتحتيلي مجالات للتفكير وإني أعيد نظر في موضوع السفر.

ونظرت في ساعتي، فوجدت العقربين قد تعانقا فوق الثالثة، فهممت بالاستئذان، وحاول توصيلي بسيارته، ولكنني أبيت بشدة وشكرته على حُسن الضيافة وانصرفت..

لكل إنسان صديق أمين يثق فيه ويبوح له بسره، وفي كثير من الأحيان يعمل بنصيحته، إذا قدم له النصح.

وهذا ما حدث معي، ففي اليوم التالي لغذاء كافيتريا الأمل، سردت لزميلتي (هدى) ما حدث مع (أسامة) بالأمس تفصيلاً..

في البدء هاجمتني بشدة لجرأتي وموافقتي على اللقاء خارج الوزارة من أول مرة وبهذه السهولة!

ولكني أقنعتها بأنني فعلت ذلك لمعرفة نواياه، حيث إنه منذ فترة ليس قصيرة (يلف ويدور) حولي!

فقالت وهي خبيرة بالحياة:

- الحقيقة إنه شاب محترم، معروف في الوزارة بحسن سيره وسلوكه، وعلى العموم المثل بيقول (خليك مع الكداب...).

وضحكت وأنا أسأل (هدى):

- قصدك إيه يا هدى؟، أوافق إني أقعد معاه تاني لو طلب؟

فأجابت (هدى) بذكاء:

- هو مش قالك إنك فتحتيله مجالات كتير للتفكير وإنه يعيد النظر في أمور كتير؟

- تفتكري أمور زي إيه؟

- زي الزواج مثلًا، والاستقرار بمصر، وبيني وبينك أنا شايفة إنه عريس (لقطة)!

ومر (أسامة) أمامهما فلمحهما ملتصقتين وتتهامسان، فابتسم بمكر وذكاء، فرمشت لي هدى لكي نكف عن الهمس..

ويبدو أنه سبقها للبوح بسره لزميله وصديقه الحميم (هاني) الذي لا يخفي عنه شيئًا، والذي لاحظته يجيء ويروح أمامنا ويبتسم!

وعاودنا الحديث، وقلت لـ(هدى):

- عريس (لقطة)؟! ، ده كان (حمدي) يتجنن!

- يا أختي بلاش (قرف) هو حمدي حيلته اللضى؟

- ده مالي إيديه مني قوي يا هدى ومعتبر الموضوع منتهى!

فقالت هدى بدهشة:

- منتهى؟.. موضوع إيه اللي منتهى؟، يا بت إنتي بتذاكري من ورايا ولا إيه؟!، يروح يشوف له واحدة من شكله، والنبي إن ما كان واحد على كيفي ماأنت شايفاه!!

وظهر حمدي من المكتب المجاور فوضع نهاية لثرثرتهما!

في إحدى الأمسيات، رن جرس التليفون في منزلنا، رفعت السماعة وجدت صوتًا هامسًا يقول:

- آنسة بثينة؟ كلمي من فضلك!

وكلمني أسامة بعد تلقف السماعة من أخته.

- أيوه يا بثينة أنا أسامة.

وتلفتُّ حولي لأطمئن لعدم وجود أحد..

- أسامة بتتكلم منين؟

- منين؟!، من البيت طبعًا، دي أختي (مها) معجبة بيكي جدًا.

- وهي كانت تعرفني يا كداب عشان تعجب بيّ؟!

- أصلي حكيتلها عنك كتير وعن ظُرْفك.
- متشكرة يا سيدي، عايز إيه تاني؟ طلباتك.
- مش عارف أقول لك إيه يا بثينة خايف تكسفيني.
- أكسفك على إيه لا سامح الله!
- عايز أشوفك دلوقتي حالاً!، أختي عايزة تشوفك.
- عايزة تشوفني؟ وتشوفني فين وليه إن شاء الله؟!
- أنا واثق إنك مش هاتكسفيني.
- يا أسامة أنت عارف كويس إننا ناس محافظين، وعمره ما حصل معايا اللي بيحصل ده!

وفجأة وجدت أمي خلفي فسألتني:

- بتكلمي مين يا بثينة؟

فارتبكت وأنهيت الحديث بسرعة قائلة:

- أبدًا دي هدى زميلتي يا ماما، مع السلامة يا هدى بكره نتقابل في المكتب، باي باي.

.....

في صباح اليوم التالي حكيت لهدى ما جاء بمكالمة أسامة لي بالأمس، فوثبت من جلستها قائلة:

- أوعي تطاوعيه، إنتي عبيطة!، هو هايتسلى عليك ولا إيه، قوليله اللي عايز يشوفني يتفضل عندنا في البيت!!
- في البيت مرة واحدة؟!
- طبعًا أمال أنت عايزة إيه ياختي!، على العموم إنت حرة، أنا خايفة أحسن يكون بيلعب بيكي.

فسرحت برهة وسألت نفسي: مش عارفة لو اتصل تاني أقول له إيه؟ أنا محتارة أعمل إيه؟

وفي المساء في نفس الموعد رن جرس التليفون، فسبقتني سعدية الشغالة ورفعت السماعة.. ألو ألو ولم يرد أحد فوضعت السماعة قائلة: ماحدش بيرد يا ستي!

وطبعًا فهمت أنه أسامة، وقلت الحمد لله إن سعدية سبقتني، (طيب وبعدين في البلوى دي؟!).

وتكرر الاتصال عدة مرات، وتعمدت عدم الرد..

وفي الوزارة لم يتمكن من الانفراد بي والحديث معي.

وذات يوم بعد الانصراف، وفي طريقي إلى محطة المترو وجدته

خلفي بسيارته وهو يضغط على (الكلاكس) عدة مرات فوقفت ووجدته يقول لي:

- اركبي.. اركبي أوصلك، عايزك ضروري.

ولكني رفضت بهزة من رأسي وتكشيرة، مما أثار حفيظته وخجله!

وعندما وصلت البيت اتصلت بهدى وأخبرتها بما حدث فردت عليّ بفرحة غامرة:

- جدعة يا بت!، أيوه كدة اتقلي عليه لما نشوف أخرتها معاه.

وما إن خلعت ملابس الخروج، حتى رن جرس التليفون فجريت بسرعة للرد عليه، وكانت أمي وسعديه مشغولتين بالمطبخ، وكان هو..

- ألو..

- أيوه يا بثينة، أنا زعلان جدًا.. يا ستي أنا قصدي شريف إنتي خايفة مني؟!

- يا أسامة أنا قولتلك قبل كدة الطريقة دي ماتنفعش معايا.

- أي طريقة؟ هو حصل مني حاجة غلط لا سامح الله؟

- لا غلط ولا صح، إحنا زملاء وبس.. مع السلامة!

وتجرأت وقفلت السكة!، لكني ندمت بعد ذلك على ما فعلت، كان المفروض أصبر عليه شوية، يمكن الراجل فعلًا قصده شريف.

ومرت أيام، وكل منا على حاله، وكانت هدى دائمًا تحرضني على عدم الاهتمام به والابتعاد عنه حتى يعرف قيمتي.

وظل هو الآخر في صمت، ولا يدخل مكتبي ولا يصبح علينا كالمعتاد.

وكانت هدى دائمًا تطلب مني ألا أسأل عنه.

وفي إحدى الأيام بعد عودتي من الوزارة رن جرس التليفون فرفعت السماعة لأرد عليه، وكان هذه المرة حمدي!:

- ألو... . أيوه يا حمدي؟

- آسف على الإزعاج.

- لا إزعاج ولا حاجة، خير؟

- خير طبعًا، مفيش حاجة.. أنا حبيت أطمئن عليك، أصلك اليومين دول ما بتسأليش في!

- يعني عايزني أعمل إيه؟

- ما أنت طبعًا مشغولة مع أسامة!!

- عيب يا حمدي الكلام ده!، مشغولة مع أسامة يعني إيه؟ مش تحاسب على كلامك!

فقال بارتباك:

- مش قصدي، والله ما أقصد حاجة، بس سمعت كدة إن فيه ود بينك وبينه وبتتقابلوا بره الشغل!

فقلت لنفسي قبل أن أرد بكلمة، وكتمت غيظي (آه لازم حد من الخباصين فتن له، أو أسامة نفسه من غيظه قاله حاجة).

ثم رديت عليه وأنا في منتهى التأثر والحزن على نفسي:

- طيب يا حمدي.. كتر خيرك.. مع السلامة.

وقفلت السكة ودخلت حجرتي، وجلست أبكي بحرقة، وامتنعت عن الأكل في هذا اليوم الذي اهتزت فيه كرامتي.

وفي اليوم التالي وبعد الانصراف من العمل، وفي طريقي إلى المترو كانت المفاجأة المذهلة!!

لمحت من بعيد سيارة أسامة، وتجلس بجانبه هدى!!

كدت أسقط من طولي على الأرض مغشيًا عليّ لولا أني

تماسكت ووقفت قليلًا على الرصيف حتى أستعيد توازني.

ثم توقفت السيارة أمام (كافتريا الأمل) ونزل منها أسامة وهدى وهما في منتهى السعادة ويداهما متشابكتان!

وداريت نفسي لكي لا يراني أحدهما حتى تجاوزت الكافتريا..